لان الفقه فى ذلك الزمن كان دائما يمزج بالكتب ولا يكتب وحده . وكان لعلماء العربية وشعرائها فى هذه الدولة حظ عظيم .

ومما يعاب عليها ان خلفاءها هم الذين رأوا الامة أقل من أن تشاورهم فى أمر وتقدم لهم نصيحة من النصائح . وكان فى عهدهم كثير من أمراء الجور كالحجاج بن يوسف وغيره ولذلك لم يعظم اسم هذه الدولة فى انظار العامة من المسلمين مع ما لها من الآثار الحسنة فى توسيع البلاد

الدرس العشرون

الاندلس

بلاد الاندلس هى قطعة من أوربا فى الجنوب يفصلها عن أفريقية بوغاز جبل طارق وعن فرنسا فى الشمال سلسلة جبال البرانس فتحها المسلمون فى خلافة الوليد بن عبد الملك سنة ٩٢ والوالى على أفريقية الامير موسى بن نصير

خطر ببال موسى أن يجيز البحر ويفتح هذا القطر العظيم فكاتب الوليد فى ذلك واتفقا على أن يرسل اليها

السرايا حتى يعرف ما هي عليه فبعث مولى له اسمه طريف في أربعمائه رجل ومعهم مائة فرس فسار في أربع سفائن فخرج في جزيرة بالاندلس سميت بعد باسمه ثم أغار على الجزيرة الخضراء فظفر بها ورجع سالما سنة ٩١ فلما رأى ذلك موسى اختار مولى له كان على مقدمات جنوده يقال له طارق بن زياد فبعثه في سبعة آلاف جندي معظمهم من البربر فساروا في البحر وقصدوا الى ذلك الجبل الذي سمي بعد باسم جبل طارق . ثم نزل من الجبل الى الصحراء وافتتح الجزيرة الخضراء . ولما بلغ ملك الاندلس رذريق ما فعله طارق جمع اليه جموعه وفي ذلك الوقت أنجد موسى طارقا بخمسة آلاف فتم من معه اثنا عشر الفا ولكن الذين مع رذريق كانوا نحو مائة الف ولكن شتان بين القلوب المجتمعة التي تقاتل لتكون كلمة الله هي العليا والقلوب المفترقة التي لم تكن محبة للملك بل دفعها التقاتل عنه فقط فوا أسفا على الملوك والامراء الذين لا يتحببون الى رعاياهم بالعدل والبعد عن دنايا الامور فأنهم حين الشدة لا يجدون من تلك الرعية من يشد ازرهم .

هكذا كانت الحال مع رذريق فأن جيشه انهزم أمام قوة عدوه وضعف هو نفسه فانهزم وغرق فى نهر لكة من أعمال شذونة وهو الذى كان عليه هذه الحرب وكانت هذه أعظم حرب لقيها المسلمون ولما علم بهذا النصر موسى بن نصير كتب الى طارق يستوقفه حتى يحضر اليه ونهض من القيروان سنة ٩٢ بعسكر ضخم ولم يزل حتى جاز البحر الى الاندلس وقابل طارقا ثم أتم موسى الفتح الى برشلونة فى جهة الشرق وأربونة فى الجوف وصنم قادس فى الغرب ودوخ أقطارها وأجمع أن يأتى المشرق من ناحية القسطنطينية ويخوض بلاد الامم الاوروبية النصرانية مقاتلا حتى يصل الى دار الخلافة ولكن كان دون ما أراد صعوبات لا يمكنه احتمالها وهى على ما نظن فكرة خيالية لم يدرسها موسى تمام الدرس ولذلك أصاب الوليد بن عبد الملك فى أنه ثنى عزم موسى عن ذلك

ولما تم فتح البلاد وضع موسى الحامية بثغورها واختار قرطبة قاعدة لها وأقام فيها ابنه عبد العزيز نائبا عنه وانصرف نحو راجعا لمقابلة الوليد ومعه الهدايا والذخائر فمات الوليد قبل أن يقدم

وصادف قدومه ولاية سليمان بن عبد الملك فنقم عليه ونكبه بعد حسن أثره فى الفتح وثار أهل الاندلس بابنه عبد العزيز فقتلوه

وصارت بلاد الاندلس بعد فتحها ولاية تابعة لبنى أمية يليها أمير من قبلهم تارة يوليه الخليفة رأسا وتارة يوليه عامل الخليفة بالقيروان . وفى هذا العهد كان الولاة يتمون فتح مالم يفتح من اعمال الاندلس فافتتحوا برشلونة من جهة المشرق وحصون قشتالة وبسائطها من جهة الجوف وأوى من بقي من سكان البلاد الاصليين الذين لم يرضوا بحكم المسلمين الى جبال قشتالة وأربونة رأفواه الدروب فتحصنوا بها فاهمل المسلمون شأنهم لقلة عددهم

مكثت البلاد على هذا الشكل ستا واربعين سنة والمسلمون بها فى حروب مستمرة مع البلاد التى لم تفتح من الاندلس حتى اتموا ذلك . وقد خطر لاحدهم وهو الامير عبد الرحمن الغافقى أن يجتاز الحدود الفاصلة بين الاندلس وفرنسا ولكن اعداءه تجمعوا عليه وهو فى جند قليل

فاصيب عسكره فى رمضان سنة ١١٤ فى موضع يعرف ببلاط الشهداء

ولما ضعف أمر بنى أمية بالشرق وعجزوا عن حفظ ما بين ايديهم فضلا عن قواصيهم تركوا أمر الاندلس فبقيت فوضى وكان بأهلها ذلك العيب العظيم الذى أفسد أمر خراسان من قبل وهو التعصب لفصائلهم فكان منهم عرب من مضر وعرب من اليمن وكل طائفة تريد الاستئثار بالرياسة والسلطة . وأخيراً اتفقوا على أن يتداولوا الامارة يليها المضريون سنة واليمنيون سنة وقدم المضريون على أنفسهم يوسف بن عبد الرحمن الفهرى فلما استتم سنة ولايته جاءه اليمنيون حسب الاتفاق يطالبون بحقهم فبيتهم يوسف باحدى قرى قرطبة وقتل منهم عدداً عظيما واستبد بأمرة الاندلس

وفى ذلك الوقت كانت الدولة الاموية قد سقطت بالشرق وظهرت الدولة العباسية فعاملوا بقايا الامويين بغاية ما يكون من الفظاعة وصاروا يقتلون من أوقعه سوء حظه فى أيديهم فهربوا فى أقاصى البلاد وكان ممن هرب عبد الرحمن

ابن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان . خطر بباله أن يسير الى الاندلس فيؤسس بها ملكا وهذا مما يدل على علو همته وعظيم ثباته فقد خرج وحيداً طريداً لا يملك شيئا ليس معه الا مولاه ومع ذلك حدثته نفسه أن يدخل مثل هذا القطر فيجدد به دولة دالت ولكنها النفوس العظيمة تزيدها الحوادث المؤلمة عظما وثباتا ولا سبيل لليأس اليها

الدرس الحادى والعشرون

كان من حسن حظ عبد الرحمن ذلك الخلاف بين المضريين واليمنيين وتقدم الاولين بخيانتهم فقام اليمنيون بمساعدته لما جاز اليهم سنة ١٣٨ فكانت بينه وبين يوسف الفهرى حروب انتصر فيها وتم له ملك الاندلس وبها ابتدأت الدولة الاموية بالاندلس . وليها منهم خمسة عشر رجلا . اثنا عشر قبل الدولة العلوية بالاندلس وثلاثة بعدها وانتهت دولتهم سنة ٤٢٠ بوفاة آخرهم هشام بن محمد الملقب بالمعتمد على الله وهذه سلسلتهم

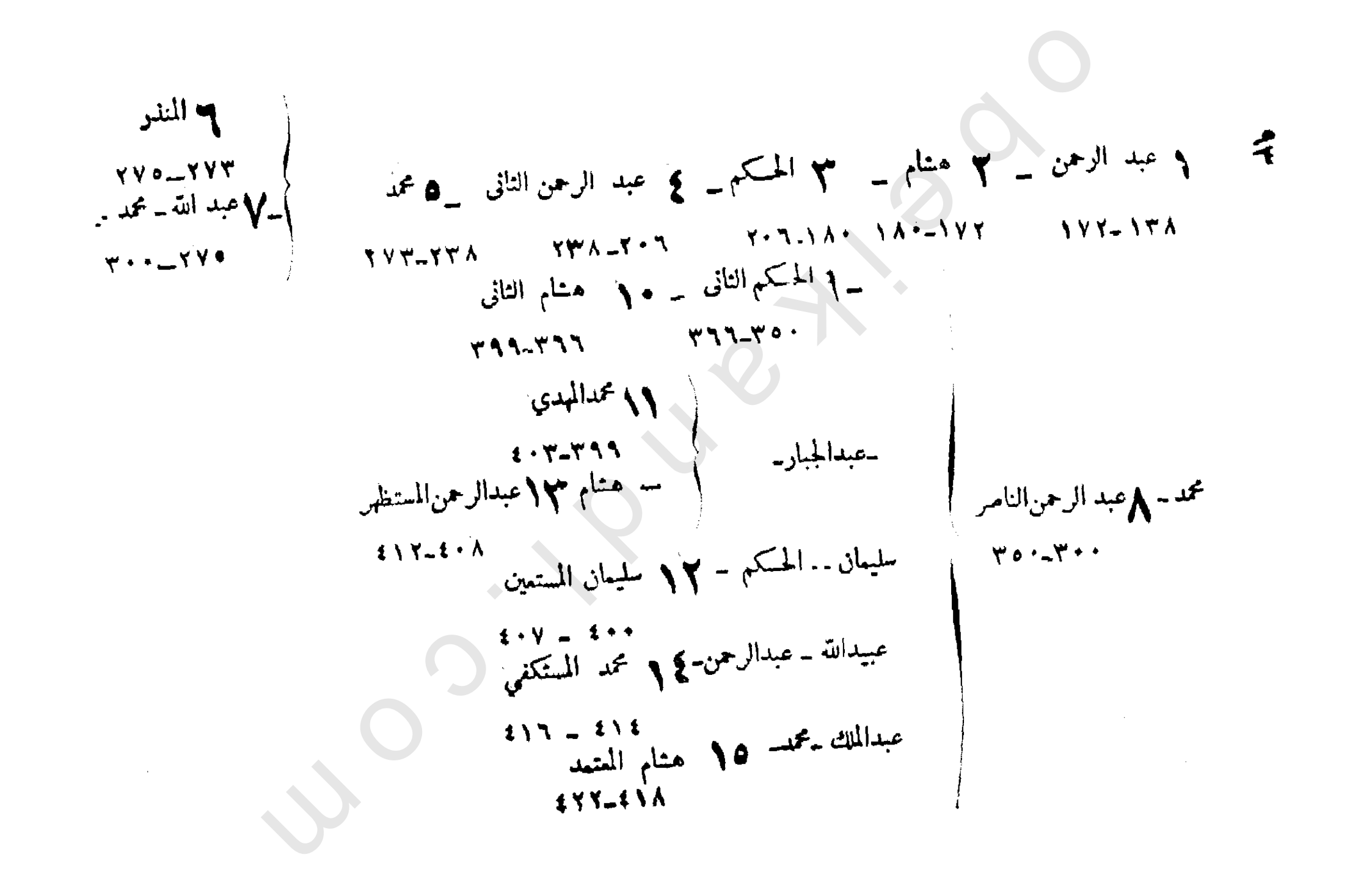
١ عبد الرحمن
١٣٨-١٧٢
٢ هشام
١٧٢-١٨٠
٣ الحكم
١٨٠-٢٠٦
٤ عبد الرحمن الثانى
٢٠٦-٢٣٨
٥ محمد
٢٣٨-٢٧٣
٦ المنذر
٢٧٣-٢٧٥
٧ عبد الله
٢٧٥-٣٠٠
محمد
٨ عبد الرحمن الناصر
٣٠٠-٣٥٠
٩ الحكم الثانى
٣٥٠-٣٦٦
١٠ هشام الثانى
٣٦٦-٣٩٩
١١ محمد المهدي
٣٩٩-٤٠٣
عبدالجبار
هشام ١٣ عبدالرحمن المستظهر
٤٠٨-٤١٢
سليمان
الحكم ١٢ سليمان المستعين
٤٠٠-٤٠٧
عبيدالله
عبدالرحمن ١٤ محمد المستكفي
٤١٤-٤١٦
عبدالملك
محمد ١٥ هشام المعتمد
٤١٨-٤٢٢

﴿ عبد الرحمن الاول ﴾

كان يلقب بعبد الرحمن الداخل وهو مؤسس دولة بنى أمية بالاندلس ومعيد مجدهم بعد أن اندثر وكان يسمى بالامير وعلى ذلك درج من بعده من عقبه حتى كان عبد الرحمن الثالث الملقب بالناصر فتسمى بأمير المؤمنين

بدأ عبد الرحمن بتنظيم البلاد لانها كانت غفلا من كل نظام ملكى . دوّن الدواوين وفرض الأعطية وعقد الالوية وجند الاجناد وظهر امام مجاوريه وغيرهم من الملوك بمظهر القوة ورجحان العقل حتى هابه كبير الدولة العباسية ابو جعفر المنصور وكان كثيراً ما يعجب به . وكان فى نيته ان يجدد ملك بنى أمية بالمشرق ولكن كان دون ذلك عقبات شديدة مات دون تذليلها وهو الذى ادار سوق قرطبة وبنى بها القصر والمسجد الجامع توفى . سنة ١٧٢

﴿ هشام ﴾

ولى الملك بعد أبيه بعهد منه وكان اذ ذاك والى ماردة وكان أبوه يوليه فى صباه ويرشحه للامر . وكان يذهب بسيرته

مذهب عمر بن عبد العزيز يبعث بقوم من ثقاته الى الكُوَر فيسألون الناس عن سير عماله ويخبرونه بحقائقها فاذا انتهى اليه حيف من أحدهم أوقع به وأسقطه وأنصف منه ولم يستعمله بعد . وهو الذي جدد بناء قنطرة قرطبة ثم قال لأحد وزرائه مايقول أهل قرطبة فقال يقولون ما بناها الامير الا ليمضي عليها الى صيده ومتنصه فآلى هشام على نفسه ألاّ يسلك عليها فلم يمر عليها بعد ووفى بما حلف عليه . ومن أحسن ما يستفاد من هذه الجملة حرية الامة وصدق الوزير واخلاص الامير . بهذا تعتز الامم وتسود

ورحم الله الامام مالكا حيث قال لما وصف له هشام نسأل الله تعالى أن يزين موسمنا بمثل هذا

ومع هذه الصفات لم يكن يهمل جهاد العدو ليكسب أمته القوة والهيبة عند من يجاورها . توفى سنة ١٨٠

﴿ الحكم بن هشام ﴾

في صدر ولايته انهمك في لذاته فاجتمع أهل الورع بقرطبة مثل يحيي بن يحيي الليثي صاحب الامام مالك وأحد رواة الموطأ عنه وغيره من أهل العلم فثاروا به وخلعوه فحاربهم

وشتتهم ولكنه استفاد من هذا الدرس فانتبه الى ملكه وكان بعد ذلك أخمل بنى أمية بالاندلس واشدهم اقداما ونجدة وكان يشبه بأبى جعفر المنصور العباسى فى شدة الملك وتوطيد الدولة وقمع الاعداء

حضر عنده مرة الفقيه زياد بن عبد الرحمن فغضب هشام على خادم له وأمر بقطع يده فقال له زياد أصلح الله الامير فان مالك بن أنس حدثنى فى خبر رفعه ان من كظم غيظا يقدر على انفاذه ملأه الله تعالى أمنا وإيمانا يوم القيامة . فأمر أن يمسك على الخادم ويعفى عنه وقال آلله ان مالكا حدثك بهذا . فقال زياد آلله ان مالكا حدثنى بهذا

وفى عهده كانت مجاعة شديدة بالاندلس فأكثر فيها مواساة أهل الحاجات . توفى سنة ٢٠٦

ولعل ما فعله من البر فى آخرة أمره يقوم بما كان منه من المعاصى بادئ أمره فيخرجه التاريخ كفافا لا عليه ولاله

﴿ عبد الرحمن الثانى ﴾

ولى بعد أبيه بعهد منه . وكان عالما بعلوم الشريعة

والفلسفة وكانت أيامه أيام هدو وسكون . وكثرت الاموال عنده واتخذ القصور والمنتزهات وجلب اليها المياه من الجبال وجعل لفضله مصنعا اتخذه الناس شريعة وأقام الجسور وبنيت فى أيامه الجوامع بكُوَرا لاندلس وزاد فى جامع قرطبة رواقين ورتب رسوم المملكة واحتجب عن العامة . وفى عهده كانت مواصلة بينه وبين ملك القسطنطينية نوفلس بعث اليه الملك سنة ٢٢٥ بهدية يطلب مواصلته ويرغبه فى ملك سلفه بالمشرق من أجل ما ضيق عليه المأمون الخليفة العباسى وأخوه المعتصم . فكافأه الامير عبد الرحمن عن الهدية وبعث اليه يحيي الغزال من كبار أهل الدولة فأحكم بينهما الوصلة . فانظر كيف يستفيد العدو من التفريق بين المتناظرين حتى يشتغل أحدهما بالآخر فيربح هو

وكان لهذا الامير ولع بالغناء لا يؤثر عليه لذة حتى انه لما قدم عليه من العراق زرياب المغنى الشهير خرج بنفسه لاستقباله وزرياب هذا هو الذى أدخل صناعة الغناء بالاندلس . توفى سنة ٢٣٨

﴿ محمد بن عبد الرحمن ﴾

ولى بعد أبيه بعهد منه وفى عهده خالف عليه أهل طليطلة من رجاله ومن سوء رأيهم استعانوا بعدوهم ملك جليقية وملك البشكنس وهما يتمنيان مثل ذلك ليكون لهما مدخل الى بلاد المسلمين وسرعان ما اعاناهم . ولكن محمداً سار اليهم بنفسه فأوقع بهم وبلغ من ذهبوا فى هذه الحرب من أهل طليطلة ومن أعانهم عشرين الفا فيا بؤس من يستنجد بعدوه الذى يتمنى ذلته وخزيه . انه لا ينجده الا ليتمكن منه فى يوم قريب . وحقيقة ان طليطلة كانت اول بلاد الاندلس سقوطا فى يد ذلك العدو المستعان به . توفى سنة ٢٧٣

﴿ المنذر بن محمد ﴾

لم تطل مدته كثيراً فلم يظهر له كبير عمل . توفى سنة ٢٧٥

﴿ عبد الله ﴾

تولى عقب أخيه . وفى عهده اضطربت عليه نواحى الاندلس بالثوار والمتغلبين فضعفت ماليته لانه اضطر أن

ينفق على جنوده كثيراً من المال ليصلح من حال ولاياته . توفى سنة ٣٠٠

الدرس الثانى والعشرون

امير المؤمنين عبد الرحمن الناصر

ولى بعد جده عبد الله بعهد منه وهو اول من تسمى بأمير المؤمنين فى الاندلس . وجد البلاد مضطرمة بنيران المتغلبين فأطفأ تلك النيران واستنزل اهل العصيان فاستقامت له البلاد

وكان كثير الجهاد والغزو بنفسه الى أن انهزم جيشه فى واقعة بينه وبين ردمير ملك الجلالقة بسبب خيانة أحد المخالفين على الناصر المسمى أمية بن اسحق فانه كان يدل ردمير على مايصاب منه المسلمون . وبعد هذه الواقعة امتنع عبد الرحمن عن الغزو بنفسه وصار يردد الغازين تحت امرة قواده فأذلوا من يجاورهم من الممالك الصغيرة بالاندلس . وبما أظهره من علو الهمة وتمام القوة مدت اليه ملوك أوربا من وراء الدروب يد الاذعان واوفدوا عليه رسلهم وهداياهم من رومة

والقسطنطينية فى سبيل المهادنة والسلم ووصل الى سدته الملوك المتاخمون لبلاده من أهل جزيرة الاندلس بجهات قشتالة وبنبلونة وما ينسب اليها من الثغور الجوفية تقبلوا يده والتمسوا رضاه واحتقبوا جوائزه وامتطوا مراكبه .

ولما وفد على الناصر رسل ملك القسطنطينية احتفل لهم احتفالا عظيما حتى هالهم ماراًوا من فخامة الملك وقوة الخلافة وكان ترجمة عنوان الكتاب الذى أرسله الملك فى سطر منه:

«قسطنطين ورومانين المؤمنان بالمسيح الملكان العظيمان ملكا الروم »

وفى سطر آخر:

« العظيم الاستحقاق الفخر الشريف النسب عبدالرحمن الخليفة الحاكم على العرب بالاندلس أطال الله بقاءه »

وكان الناصر مع قوته وأبهة ملكه يحترم العلماء احتراما يجعلهم يشعرون بسمو ما كلفوا أنفسهم به من احياء النفوس الميتة بنشر نور العلم ومتى شعروا بذلك بذلوا جهدهم فى تأدية ماعليهم فارتقت الامة

ذلك كان الحال فى عهد الناصر فان العلماء كثروا وعزوا وبنسبة كثرتهم يكثر المتعلمون والمؤدبون الذين يعرفون قدر الحياة العالية فيسعون لنيلها من الطريق الذى يوصل اليها

ومن حسن حظ الاندلس فى تلك الايام ان طالت مدة الناصر فانه تولى سنة ٣٠٠ وتوفى ٣٥٠ ومع ذلك فانه أحصى أيام سروره فبلغت أربعة عشر يوما وهكذا حال الملوك الذين تشغلهم مصالح أممهم عن اللهو والملذات الشخصية تراهم يجدون فى سعادة الامة سعادتهم وفى سرورها سرورهم مهما عاد ذلك على أجسامهم بالتعب والشقاء

﴿ الحكم المستنصر ﴾

ولى بعد أبيه بعهد منه وفى أول عهده طمع الجلالقة فى الثغور لوفاة الناصر فأراهم عين القوة واقتحم بجنوده بلادهم فبادروا الى عقد السلم معه لما رأوا منه هذه القوة ووفد عليه الامراء منهم فاحتفل لوفادتهم واشترط

عليهم لقبول الصلح هدم الحصون القريبة من ثغور المسلمين ولم يتأخر عن الوفادة عليه أحد من الامراء المجاورين له

وكان الحكم محبا للعلوم مكرما لاهلها جماعا للكتب فى أنواعها جمع ما لم يجمعه أحد من الملوك قبله. قال خازن كتبه ان عدد الفهارس التى فيها تسمية الكتب أربعة وأربعون فهرسا. وأقام للعلم والعلماء سوقا نافقة جلبت اليها بضائعه من كل قطر

وكان حسن السيرة مكرما للقادمين عليه مع علم جم. شدد فى ابطال الخمر من مملكته تشديداً عظيما. توفى رحمه الله بقرطبة سنة ٣٦٦

﴿ هشام الثانى الملقب بالمؤيد ﴾

ولى الخلافة بعد أبيه وسنه تسع سنين وكان القائم بامره الوزير محمد بن أبى عامر فمال الى الاستئثار بالدولة ولكنه رأى كبارها يزاحمونه فى الامر فمكر بهم وقتل بعضهم ببعض وبذلك تم له الغلب على الخليفة ومنع الوزراء من الوصول

اليه الا فى النادر من الايام يسلمون وينصرفون . وهكذا حال أهل الاستبداد من الرجال يحبون أن تبقى الافكار كامنة فى رؤس المفكرين لا يباح لاحد منهم أن يقول كلمة حق خوفا على هذه السلطة الوهمية أن تندك أمام قوة الحق . وليزيد ابن أبي عامر أمره تأييداً أرسل الى من ببلاد المغرب من البرابرة فأتى بالكثير منهم ورتب منهم جنداً واصطنع أولياء وبذلك تم له الاستيلاء على الدولة والاستبداد بالامر وبنى لنفسه مدينة سماها الزاهرة ونقل اليها خزائن الاموال والاسلحة وقعد على سرير الملك وأمر أن يحيا تحية الملوك وتسمى بالحاجب المنصور وأمر بالدعاء له عقب الدعاء للخليفة وهذا الذى بقى لهشام من رسوم الخلافة وكتابة اسمه على النقود . وكانت للمنصور غزوات كثيرة لم تنكس له فيها راية . وبقدر ما عظمت سلطة المنصور ضعفت قوة الخلافة ولم يزل أمره فى ازدياد حتى توفى سنة ٣٩٤ * ومن آثاره بناء قنطرة على نهر قرطبة الاعظم أنفق على بنائها ١٤٠,٠٠٠ دينار فعظمت بها المنفعة وبنى قنطرة اخرى على نهر استجة وهو نهر شنيل

وتجشم لها أعظم مؤنة وسهل الطريق الوعرة والشعاب الصعبة

ولما توفى قام بأمر المؤيد بعده ابنه عبد الملك المظفر ابو مروان فجرى على سنن أبيه فى السياسة والغزو ثم توفى بعد سبع من وزارته . فقام بعده أخوه عبد الرحمن وتلقب بالناصر لدين الله وقد طمع أن تؤول اليه الخلافة على حقيقتها فطلب من هشام أن يوليه عهده ففعل وكان هذا سببا لنقمة أهل الدولة عليه فقاموا ضده وكان غائبا بأحدى غزواته وخلعوا هشاما المؤيد وولوا محمد بن هشام بن عبد الجبار بن الناصر ولقبوه بالمهدى

الدرس الثالث والعشرون

محمد المهدى

بويع من أهل الدولة عقب خلع هشام المؤيد وعلى يده قتل عبد الرحمن الحاجب حين آب من غزوته . وولاية المهدى أثارت ثائرة عصبية جديدة فان البرابرة الذين جندهم المنصور الحاجب وكانوا مؤيدين لدولته نقم عليهم المهدى

وأهل الدولة وأظهروا لهم البغض والاستياء فسقطت مرتبتهم ولما رأوا ذلك أسروا نجواهم فى الخروج على المهدى ومبايعة هشام بن سليمان بن الناصر فظهر للناس أمرهم وأخذ هشام هذا فقتل وطرد البربر خارج قرطبة ولحق بهم سليمان ابن الحكم فاتفقوا على خلع المهدى ومبايعته ولقبوه المستعين بالله

ولسوء رأيهم استجاشوا بملك قشتالة ألفونس الخامس فأمدهم بجند كثيف وذهب معهم الى قرطبة فحاربوا المهدى وقتلوا من جنده نحو عشرين الفا وملك المستعين قرطبة ورجع ألفونس الى مقر ملكه

فخرج المهدى اليه مستنجداً به فأنجده وهذا كل ما يتمناه من وقوع الخلاف بين هؤلاء البُلهِ الذين لا يريدون إلا مصالح أنفسهم . جاء المهدى وألفونس الى قرطبة وحاربا المستعين حتى استولى المهدى ثانية على قرطبة وخرج المستعين والبربر يعيثون فى الارض فساداً

فخرج المهدى وألفونس يقفون أثرهم فكر عليهم المستعين وقاتلهم قتالا شديداً حتى هزمهم فعاد المهدى الى

قرطبة واخرج هشاما المؤيد وبايع له وقام بحجابته . ولكن أهل قرطبة خافوا أن يقتحم البربر المدينة فقتلوا المهدى وأبقوا هشاما المؤيد ولكنهم لم ينتفعوا بذلك فان المستعين لم يزل محاصراً للبلد حتى افتتحه ودخله فى صورة ظافر والحقيقة أنه هو ومن معه يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى الكافرين . كل ذلك أضعف من شأن الدولة وهيبتها فاستقل عمال الولايات بما فى أيديهم وصارت كل ولاية مملكة قائمة بنفسها

أما قرطبة قاعدة البلاد الكبرى فكانت مشهدا لفظائع متتالية فان الأمويين ضعفوا واستكانوا

وكان إذ ذاك بسبتة رجل من العلويين مالكا لها اسمه على بن حمود . ولما رأى ضعف بنى أمية عبر البحر الى الاندلس وسار الى قرطبة فبايعه أهلها عل طاعة هشام المؤيد ان ظهر خبره . فأقام على ذلك مدة . ولما لم يجدوا له أثر ادعا على بن حمود الناس الى بيعته فبايعوه ولقبوه بالمتوكل على الله . وهو أول الدولة العلوية بالاندلس . وكانت هذه الدولة اشبه بحلم النائم فانها لم تمكث كثيراً حتى لم يبق لها أثر وأخذت بين أيديها

الدولة الاموية فلم يبق بالاندلس أمر خلافة منتظم وتفرقت البلاد ووجد فيها مايسميه التاريخ « ملوك الطوائف »

ملوك الطوائف

كان بأشبيلية دولة بنى عباد . وببطليوس دولة بنى الافطس محمد بن عبد الله . وبطليطلة دولة اسماعيل بن ذي النون . وبسرقسطة دولة بنى هود . وبطرطوشة لبيب العامرى وببلنسية المنصور المغافرى وغيرهؤلاء ممن استقلوا بما بأيديهم من العظماء والولاة

وكان هذا التفرق منعشا لآمال ملوك اسبانيا فى استرداد تلك البلاد التى نمت ثروتها وارتقت أحوال سكانها فى عصر الخلافة العربية . والايدي إذا تماسكت لم تقدر القوى على تفريقها فاذا تخاذلت سهل على العدو اخضاعها

فكان أول ما استرد من البلاد طليطلة . استردها ألفونس السادس ملك قشتالة من يد صاحبها القادر بالله بن المأمون ابن يحيي بعد حصارها سبع سنين . وأخذوا يستردون بعد

ذلك الحصون التى تحمى تلك الممالك ويتحكمون فى الامراء كما يشاءون

ولما رأى ذلك المعتمد بن عباد أرسل الى أمير المسلمين بالمغرب وكبير دولة الملثمين يوسف بن تاشفين يستنجد به ويطلب منه الاعانة والنصرة ثم سار اليه بنفسه بعد ذلك فقال له يوسف ارجع الى بلادك وتجهزوا انى على أثرك . ثم جهز يوسف الاساطيل وجمع الجنود وعبر البحر الى الاندلس سنه ٤٧٩ فاجتمعت قوته بقوة ابن عباد وأقبل اليهم ألفونس السادس بجنوده فكانت بينهم حرب هائلة تسمى فى التاريخ بوقعه الزلاقة وكانت نتيجتها هزيمة ألفونس وجنوده هزيمة منكرة ولما تم النصر ليوسف رأى أوفق أمر لحال الاندلس أن يستولى على بلادها من يدملوكها التشتت أمرهم فأخذ قرطبة وأشبيلية من يد ابن عباد وأجلاه الى المغرب فحبسه بأغمات حتى مات بها . وأخذ غرناطة وغيرها من البلاد وبذلك استتب له الامر وانقضت إمرة ملوك الطوائف

وصارت بلاد الاندلس بعد ذلك اقليما تابعا لدولة الملثمين

بالمغرب التى مقرها مراكش وهي المدينة التى بناها يوسف ابن تاشفين وجعلها عاصمة دولة الملثمين

وكان يوسف حازما سائسا للامور وضابطا لمصالح مملكته مؤثرا لاهل العلم والدين وكثيرا ما يستشيرهم فى أموره . توفى سنة ٥٠٠ وقام بامر الملثمين بعده أخوه علي وفى عهده استولى الافرنج على سرقسطة وكثير من حصون المسلمين وتوفى سنة ٥٣٩

الدرس الرابع والعشرون

ولم يأت بعده من يحمى تلك الدولة المتنائية الاطراف الا انهم قام ضدهم دولة أخرى فى بدء شبابها وهى دولة الموحدين التى قامت بدعوة المهدى عبد الله بن تومرت وكان يساعده عبد المؤمن بن على وهو الذى تم على يديه الاستيلاء على مراكش وعلى جميع ما يملكه الملثمون وبدء بيعته سنة ٥٢٤

ولما تم له ملك المغرب ارسل جنوده تحملها الاساطيل

لفتح بلاد الاندلس من أيدى بقايا الملثمين فاستولوا عليها تماماسنة ٥٤٥ واستردوا كثيراً من الحصون التى كان الافرنج قد أخذوها وانتصروا على ألفونس ملك طليطلة ولو مدّ لعبد المؤمن فى أجله لكان استرد مدينة طليطلة ولكن منيته وافته سنة ٥٥٨

ومن آثاره بناء مدينة جبل طارق التى يملكها الانجليز الآن وكان اسطوله نحو ٤٠٠ قطعة

وجاء بعده ابنه محمد ولكن أمره لم يتم لانه كان متصفا بما لا يليق بمن يلون أمر الامة من اختلال الرأى والطيش وجبن النفس وشرب الخمر فخلعته امته بعد ٤٥ يوما من ولايته

فخلفه أخوه يوسف بن عبد المؤمن . ولما تم أمر بيعته أرسل الجيوش الى جزيرة الاندلس فأنقذوا عدة مدائن كان يحاصرها الاسبانيون وفتحوا غيرها . ثم عبر اليها هو بنفسه سنة ٥٦١ وتسلم شرق الاندلس من أولاد محمد بن مردنيش ورجع الى اشبيلية وبنى بها مسجداً عظيماً ثم رجع الى أفريقية وعبر الاندلس ثانية لما بلغه ان ألفونس ينازل مدينة قرطبة

فسار ميمما نحو الشمال يريد محاصرة شنترين . وبينما هو يحاصرها وقد فارقه جنده فى احدى لياليه اذ خرج عليه المحصورون وقاتلوه فجرح جرحا بليغا وعاد الى مراكش فتوفى أثناء عودته سنة ٥٨٠ .

وكان ليوسف بن عبد المؤمن من الصفات العالية ماينزله في منزلة كبار الملوك فقد كان عالما فقيها حافظا . وكان يميل الى الحكمة والفلسفة . ويكفيه فخراً أن كان من أصحابه الفيلسوف الاسلامى الكبير ابن رشد الذى كتب فى الفلسفة كتبا عظيمة كان أهل أوروبا يرجعون اليها ويتعلمون منها

وبعد وفاته بويع ابنه أبو يوسف يعقوب الملقب بالمنصور . وفى عهده كانت الحروب الصليبية محتدمة نيرانها بين صلاح الدين يوسف الايوبى وبين أهل أوروبا فى الشام ومصر . وكان لصلاح الدين على خصومه فضل قوة فى البر الا أن أسطوله لم يكن يمكنه أن يقاوم اسطول الافرنج فأرسل الى يعقوب المنصور يستمده باسطوله ليعاونه ولكن للاسف انه لم يخاطبه بأمير المؤمنين كما كان يلقب فأخذته العزة بالاثم ولم يمد صلاح

الدين بشيء وهذا نهاية ما يعرف من ضيق العقل وسوء الفكر

وكان للمنصور أعداء في أفريقية يقلقون راحته فاشتغل عن الاندلس وقتا فأدى ذلك الى تقوى الاسبانيين والبرتغاليين وتوسيعهم حدود بلادهم مما يلي المسلمين

ولما علم بذلك يعقوب عبر الاندلس سنة ٥٩١ بعسكر ضخم واتصل الخبر بألفونس التاسع ملك قشتالة فجمع جمعا كثيرا وأقبل نحو المنصور فاجتمعا بمكان اسمه الاراك وانتهت الموقعة بهزيمة الفرنج هزيمة منكرة. وهذه الواقعة من أعظم الحروب التي كانت بين المسلمين والفرنج في بلاد الاندلس. ثم تقدم بعد ذلك وفتح عدة حصون بجهات طليطلة مثل قلعة رباح ووادي الحجارة ومجريط (مدريد)

وقد شيد المنصور فوق ذلك بالاندلس والمغرب كثيراً من المباني الفاخرة كالمساجد والمدارس والمارستانات والحصون والصوامع والقناطر والآبار ولولا ضنه على صلاح الدين بالمساعدة لكان معدودا من أعظم ملوك المسلمين

وفي سنة ٥٩٥ اعتزل بنفسه لبهة الملك فولى ابنه محمد

الناصر لدين الله وفى عهده تجمع ملوك الاندلس متحدين على غزو بلاد المسلمين وساعدهم كثير من أهل اوربا لان البابا أنوسان الثالث بابا رومية نادى بحرب المسلمين بعد أن استنجده ملك قشتالة فعبر اليهم الناصر بجند لم يجتمع لملك قبله ولكن كان خليطا من أجناس شتى غير متلائمة

وقد تقابل الجيشان بمكان يقال له حصن العقاب شمال جيان وانتهت بهزيمة الناصر ومن معه من جند الاندلس والبربر وكان ذلك فى ١٥ صفر سنة ٦٠٩ وبتلك الهزيمة ذهبت قوة المسلمين بالاندلس

ولما عاد الناصر الى بلاد المغرب عقد البيعة لولده يوسف الملقب بالمنتصر ثم احتجب فى قصره حتى مات سنة ٦١٠

وفى زمن المنتصر فشل أمر الموحدين وأشرفت دولتهم على الهرم واستولى ألفونس التاسع ملك الاسبانيين على حصون المسلمين وهزم حامية الاندلس

ولما ضعف أمر الموحدين قامت بالاندلس آخر دولة بها وهى : « دوله بنى الاحمر »

دولة بنى الاحمر

ورأسها محمد بن يوسف بن نصر. قام سنة ٦٢٩ ثائرا على ابن هود المتغلب بشرق الاندلس . وكانت بينهما خطوب شديدة. وفى الوقت الذى كانا يتنازعان فيه كان عدوهما يستولى على البلاد شيئا فشيئا فأخذ قرطبة سنة ٦٣٣ واشبيلية سنة ٦٤٦ بعد حصار دام سنتين وكان ابن الاحمر يساعد الاسبانيين في هـذا الحصار رجاء أن يساعدوه على خصمه ثم استولى العـدو على طليطلة وشاب وطلبيرة سنة ٦٥٩ ثم مرسية سنة ٦٦٥ ولم يزل يستولى على البلاد شيئا فشيئا الى ان ألجأ المسلمين الى سيف البحر ما بين رندة غربا والبيرة شرقا ولم يبق للمسلمين غير سيف البحر البالغ عرضه مرحلة. وهذا الجزء هو مملكة ابن الاحمر وقاعدته غرناطة .ولم يزل بنوه يتوارثون امارة هـذا الجزء وهم فيما بينهم متنـازعون واذا أدركتهم صحوة من هـذه الغفلة ورأوا قوة عدوهم استعانوا بملوك افريقية من بنى مرين الذين ورثوا دولة الموحدين فيغيثونهم بعض الغوث ولـكن الجسم اذا لم يكن

مستعداً للحياة لم تنفعه حيل الاطباء وانما هو نوع من تطيف آلام المرض وقتا قليلا. وهكذا كان حال بنى الاحمر الذين أضروا بالمسلمين وأضعفوا قوتهم وقد استولى الاسبانيون على مالقة منهم سنة ٨٩٢ ثم وادى آش ثم عرض ملك الاسبانيين وهو فرديننذ الكاثوليكى على صاحب غرناطة أن يدخل فى طاعته مقابل أموال جزيلة يدفعها له وله الخيار أن يقيم فى أى بلاد الاندلس شاء . فاستشار رعيته فأبت عليه ذلك (وما جاءت الشورى الا بعد ان خربت الدار) وحينذاك أقبل العدو وحاصر غرناطة سنة ٨٩٦ فافسد الزرع وقطع الاشجار وهدم القرى وبعد سبعة أشهر من الحصار اشتدت الحال على من بالبلد فمالوا الى الصلح وكتبوا بينهم وبين عدوهم شروطا وكانت ٦٧ شرطا اهمها تأمين الصغير والكبير فى النفس والاهل والمال وابقاء الناس فى أماكنهم ودورهم ورباعهم وعقارهم . ومنها اقامة شريعتهم على ماكانت ولا يحكم على أحد منهم إلا بشريعته وأن تبقى المساجد كما كانت والاوقاف كذلك وألا يدخل النصارى دار مسلم ولا يغصبوا

أحداً . وألا يولى على المسلمين نصرانى أو يهودى . وأن يفتك جميع من أسر فى غرناطة حيث كانوا ومن هرب من أسارى المسلمين ودخل غرناطة لا سبيل عليه لمالكه ولا لغيره والسلطان يدفع ثمنه لمالكه ومن أراد الجواز الى العدوة لا يمنع ويجوزون فى مدة عينت فى مراكب السلطان لا يلزمهم الا الكراء ثم بعد تلك المدة يعطون عشر مالهم والكراء . وألا يؤخذ أحد بذنب غيره وألا يجبر من أسلم على الرجوع الى النصارى ولا يعاقب من قتل نصرانيا أيام الحرب ولا يكلف المسلم بضيافة أجناد النصارى ولا يسفر لجهة من الجهات ولا يزيدون على المغارم المعتادة وترفع عنهم جميع المظالم والمغارم المحدثة ولا يمنع مؤذن ولا مصل ولا صائم من أمور دينه وأن يوافق على كل الشروط صاحب رومة ويضع خط يده

وبذلك انتهى ملك المسلمين بالاندلس وصاروا رعية لصاحب قشتالة ونزل سلطان غرناطة أبو عبد الله عنها وظل الاسبانيون يراعون الشروط مدة قليلة حتى تمكنت قدمهم وعلموا أن لا ناصر للمسلمين فعدلوا عن مراعاة تلك الشروط

واذاقوا من بقى منهم فى تلك البلاد أنواع الاضطهاد خصوصا لما تشكلت تلك المحكمة المعروفة بمحكمة التحرير القسيسى أو محكمة التفتيش فكان من القسوة والمعاملة الخالية من المروءة والانسانية مالا يستطيع قلم الواصف أن يسطره وقد كان انشاء هذه المحاكم بأمر البابا وات خلفاء المسيح وحفاظ دينه

ولما رأى المسلمون ما هالهم صاروا يتسللون الى افريقية حتى انقضى أمرهم ولم يبق فى تلك البلاد موحد والارض لله يرثها من يشاء من عباده . وكل هذا نتيجة طبيعية لحال أمراء المسلمين فى أواخر أمرهم وتباغضهم وتنافرهم

الدرس الخامس والعشرون

عبرة من تاريخ الاندلس

رأيت كيف دالت دولة المسلمين بالاندلس بعد أن مضت عليها قرون كان ملوك اوروبا يتسابقون الى التقرب منها . ورأيت كيف تحولت من بلاد اسلامية الى بلاد

مسيحية بعد ان كان الدين فيها بأجمل مظاهره علما وعملا ولم يبق لنا الآن منها الا الاعتبار بما حصل من أهلها لانفسهم أولا ومن أعدائهم لهم ثانيا

كان من بها متحدين متحابين يحس الفرد منهم بما يصيب أخاه فيألم له ان كان مؤلما ويسر به ان كان مفرحا. بذلك كانت قوتهم جميعا على من يريدهم بسوء. فسارت الدولة وبسطت نفوذها على جميع الاقاليم الاسبانية فهدأت القلوب وارتاحت الانفس. وبذلك تفرغ النبهاء والعلماء لاظهار آثار مواهبهم التي منحها الله اياهم فظهرت المؤلفات العجيبة وارتقت حركة الفكر رقيا تفخر بآثاره حتى الآن. فمنهم الكتاب الادباء والفلاسفة الحكماء والصناع الماهرون الذين من آثارهم جامع قرطبة والحمراء والقناطر العجيبة

لم يزالوا كذلك حتى فرق بينهم الشيطان فعادى بعضهم بعضا سعيا وراء سيادة وهمية وتفرقوا شيعا فكل بلد فيه أمير المؤمنين ومنبر

كان من وراء ذلك ان استظهر عليهم عدوهم واحداً

بعد واحد وكان يستعين بهذا على ذلك ليفوز بضعف الاثنين فصارت سلطتهم تتضاءل وأطرافهم تنتقص حتى آل أمرهم ان انكمشوا فى أقليم غرناطة بعد تلك الاقاليم الواسعة الاطراف ولم يكن للعدو بعد ذلك كبير عناء فى الاستيلاء على البقية الباقية والتحكم فى هؤلاء المستضعفين كما شاء هواه وشاء تعصبه القبيح

كل ذلك سببه أولئك الامراء الطامعون فى الالقاب الضخمة غير مهتمين بما وراء ذلك لا يهمهم سعدت الامة أم شقيت فهم يسوقونها سوق الانعام للحصول على أغراضهم ولا يرون لأحد من الامة حقا معهم بل يرون أن كل من تعرض لهم بنصح مستحق أليم العقاب يسلطون عليه غضبهم وانتقامهم بكل ما يمكنهم ولا يحسبون لمستقبلهم حسابا . بذلك ينكمش النصحاء الصادقون ويختفى النبهاء المخلصون والفوز كل الفوز لمن غش أو خان . وحينذاك تختفى الحقائق عن العيون ويموه بالباطل الموهون . فاذا حدث حادث أو ألمت كارثة أو جاش العدو بخيله ورجله كان الخذلان للامة

أقرب من حبل الوريد . اليس فى ذلك من العبرة مايلفت الانظار وينبه القلوب فيجعل أفراد الامة ملتفتين الى مصلحة هيئتها العامة ويجعلهم يتركون ما بينهم من التنافر لمصلحة بلادهم حتى لا يكونوا طعمة للآكلين ونهبة للناهبين وحتى لا يتحملوا تبعة ما يحل بالامة من المصائب فيلعنهم الخلف لانهم كانوا مصدر الشرور . ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون

﴿ حال الاندلس فى الملك الاسلامى ﴾

كانت الاندلس فى عهد الخلافة الاموية وما بعدها سيدة الاقطار فى الدنيا علما وصناعة وأدبا

ساعد الخلفاء على احياء العلم فأخرجت البلاد سادة الفقهاء وسادة المحدثين وكبار الفلاسفة والاطباء والمنجمين

فمنهم الامام المحدث يحيى بن يحيى الليثى راوى الموطأ عن الامام مالك . كان اميناديننا معظما عند الامراء عفيفا عن الولايات . وهو الذى نشر مذهب مالك بالاندلس . توفى سنة ٢٣٤

ومنهم الامام الفقيه القاضى منذر بن سعيد البلوطى قاضى الجماعة بقرطبة وكان قاضيا لا يخاف فى العدل لومة لائم. ومن طريف ماجرى منه ان الخليفة الناصر احتاج الى شراء دار من قرطبة فوقع استحسانه على دار كانت لايتام يلى القاضى أمرهم. ويتصل بالدار حمام له غلة واسعة. فأرسل الخليفة من قومها وأرسل أناسا لوصى الايتام فى بيعها. فقيل له ان البيع لا يجوز الا بامر القاضى. فارسل الخليفة رسولا الى القاضى فى ذلك. فقال للرسول ان البيع على الايتام لايجوز الا لوجوه منها الحاجة ومنها الوهى الشديد ومنها الغبطة. فاما الحاجة فلا حاجة بهؤلاء الايتام الى البيع. وأما الوهى فليس فيها. وأما الغبطة فهذا مكانها. فان أعطاهم أمير المؤمنين فيها ما تستبين به الغبطة أمرت وصيهم بالبيع والا فلا فنقل جوابه الى الخليفة فاظهر الزهد فى شراء الدار طمعا أن يتوخى رغبته فيها وخاف القاضى أن تنبعث منه عزيمة تلحق الايتام ثورتها فأمر وصى الايتام بنقض الدار وبيع أنقاضها ففعل ذلك وباع الانقاض فكانت قيمتها أكثر مما قومت به للسلطان. فاتصل

به الخبر فعز عليه خرابها فأمر بتوقيف الوصى على ما أحدثه فيها فأحال الوصى على القاضى أنه أمره بذلك فأرسل عند ذلك للقاضى منذر وقال له أنت أمرت بنقض الدار . فقال نعم . قال وما دعاك الى ذلك . قال أخذت فيها بقول الله تعالى «فأما السفينة فكانت لمساكين يعملون فى البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصباً» مقوّموك لم يقوموها الا بكذا وبذلك تعلق وهمك فقد نضّ فى انقاضها أكثر من ذلك وبقيت القاعة والحمام فضل ونظر الله تعالى للايتام . فصبر الخليفة عبد الرحمن وقال نحن أولى من انقاد الى الحق فجزاك الله تعالى عنا وعن أمانتك خيراً

توفى سنة ٣٥٥

ومنهم القارئ الشهير الامام أبو القاسم الشاطبى الضرير صاحب حرز الامانى المشهور بالشاطبية فى القراآت . رحل الى مصر القاهرة واستوطنها وتصدر للاقراء بالمدرسة الفاضلية .

توفى سنة ٥٩٠

ومنهم الامام الفقيه المفسر القاضى أبو بكر محمد بن

العربى قاضى قضاة كورة أشبيلية . وهو امام فى الاصول والفروع . رحل الى المشرق مع أبيه ودخل الشام والعراق وبغداد وسمع بها من كبار العلماء ولقى بمصر والاسكندرية منهم جملة . توفى سنة ٥٤٣

ومنهم الامام النحوى محمد بن مالك صاحب الألفية والتسهيل وغيرهما من كتب النحو . كان فى النحو بحراً لا يشق عبابه . واطلاعه على أشعار العرب التى يستشهد بها فى النحو واللغة كان من أعجب العجب . وكان الأئمة الاعلام يتحيرون فى أمره هذا على ما هو عليه من الدين والعبادة وصدق اللهجة وحسن السمت وكمال العقل . ارتحل من الاندلس الى دمشق وبها توفى سنة ٦٧٢

ومن المشهورين بالطب منهم عبد الملك بن أبى بكر ابن زهر . رحل الى المشرق وتولى رياسة الطب ببغداد ثم بمصر ثم القيروان ثم استوطن مدينة دانية بالاندلس وطار ذكره واشتهر بالتقدم فى علم الطب حتى فاق أهل زمانه

ومنهم الطبيب الماهر الشهير عبد الله بن احمد بن البيطار

المالقى صاحب الكتاب المشهور بمفردات ابن البيطار . كان واحد زمانه في معرفة النباتات . سافر الى بلاد الاغارقة وأقصى الى بلاد الروم والمغرب واجتمع بجماعة كثيرة من الذين يعانون هذا الفن وعاين منابته وتحققها وعاد بعد أسفاره . وكان طبيبا للملك الكامل ابن العادل صاحب مصر والشام وجعله فى الديار المصرية رئيسا على العشابين (الاجزائية) وانتهت اليه معرفة تحقيق النبات وصفاته وأماكنه ومنافعه . توفى سنة ٦٤٦ بدمشق

ومن مشاهير علمائهم وصناعهم أبو القاسم عباس بن فرناس حكيم الاندلس . وهو اول من استنبط بها صناعة الزجاج من الحجارة . وأول من فك الموسيقى وصنع الآلة المعروفة بالمثقال ليعرف الاوقات على غير رسم ومثال . واحتال فى تطيير جثمانه وكسا نفسه الريش ومد له جناحين وطار فى الجو مسافة بعيدة ولكنه لم يحسن الاحتيال فى وقوعه فتأذى فى مؤخره ولم يدر أن الطائر انما يقع على زمكه ولم يعمل له ذنبا . وصنع فى بيته هيئة السماء وخيل للناظر فيها

النجوم والغيوم والبروق والرعود

ومن فلاسفتهم ابن رشد الذى عرفه الافرنج كثيراً واستفادوا من فلسفته وحكمته

وعلى الجملة فكانت البلاد ممتلئة بالعلم والحكمة والفلسفة حتى كان طلاب العلم من البلاد المجاورة لهم من أهل أوروبا يجعلون الاندلس مدرستهم

أما الابنية العظيمة والقصور الفخيمة فكان لهم فيها القدح المعلى مما بقيت للآن آثاره . من ذلك جامع قرطبة والزهراء وحمراء غرناطة والقناطر العظيمة التى شادوها على أنهرها

كل ذلك كان بفضل الاتحاد والعمل للصالح العام . ثم لما حل التنافر محل الاتحاد وحب الاثرة والعمل للصالح الشخصى محل المصلحة العامة زال ذلك كله كأن لم يكن

الدرس السادس والعشرون

الدولة العباسية

تنسب هذه الدولة الى عباس بن عبد المطلب بن عبد مناف عم رسول الله صلى الله عليه وسلم

وبدء حكمها من سنة ١٣٢ من الهجرة حين بويع أبو العباس عبد الله السفاح بالكوفة الى سنة ٦٥٦ حين دخل التتار مدينة بغداد وقتلوا عبد الله المستعصم آخر خلفائها

وعدد خلفائها سبعة وثلاثون وهذه سلسلتهم

عباس ـ عبد الله ـ علي ـ محمد

١ السفاح
١٣٢ـ٢٣٢

٢ المنصور ـ ٣ المهدى
١٣٦ـ ١٥٨ ١٥٨ـ١٦٩

٤ الهادي
١٦٩ـ١٧٠

٥ الرشيد*
١٧٠ـ١٩٣

١٧ المكتفي ـ ٢٢ المستكفي
٢٨٩ ـ ٢٩٥ ٣٣٣ ـ ٣٣٤

*ط بحة ١٦ المعتضد
٢٧٩ـ٢٨٩

١٩ القاهر
٣٢٠ ـ ٣٢٢

١٨ المقتدر
٢٩٥ ـ ٣٢٠

٢٠ الراضي
٣٢٢ ـ ٣٢٩

٢١ المتقي
٣٢٩ ـ ٣٣٣

٢٣ المطيع ـ ٢٤ الطائع
٣٣٤ ـ ٣٦٣ ٣٦٣ـ٣٨١

اسحق ـ ٢٥ القادر ـ
٣٨١ـ٤٣٢

الراشد ـ ٣١ المقتفي ـ ٣٢ المستنجد ـ ٣٣ المستضيء ـ ٣٤ الناصر
٥٣٠ ـ ٥٥٥ ٥٥٥ـ٥٦٦ ٥٦٦ـ٥٧٥ ٥٧٥ـ٦٢٢

obeikandl.com

الرشيد
٦ الامين
١٩٣-١٩٨
٧ المامون
١٩٨-٢١٨
٨ المعتصم
٢١٨-٢٢٧
٩ - الواثق ١٤ المهتدى
٢٢٧- ٢٣٢ ٢٥٥-٢٥٦
محمد- ١٢ المستعين
٢٤٨-٢٥٢
١٠ المتوكل
٢٣٢-٢٤٧
١١ المنتصر
٢٤٧- ٢٤٨
- طلحة *
١٣ المعتز
٢٥٢ - ٢٥٥
١٥ المعتمد
٢٥٦-٢٧٩

-٢٦ القائم - محمد- ٢٧ المقتدي- ٢٨ المستظهر ٢٩ -المسترشد- ٣٠ الراشد
٤٢٢-٤٦٧ ٤٦٧-٤٨٧ ٤٨٧-٥١٢ ٥١٢-٥٢٩ ٥٢٩- ٥٣٠

٣٥ الظاهر- ٣٦ المستنصر بالله ٣٧ المستعصم
٦٢٣-٦٢٦ ٦٢٣-٦٤٠ ٦٤٠-٦٥٦

obeikandl.com

١ - محمد السفاح

بويع بالخلافة فى سنة ١٣٢ بمدينة الكوفة . وحين بويع خطب الناس خطبة طويلة بين فيها قرابته هو وبنى أبيه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه أحق بخلافة المسلمين ممن عداهم ومنى نصراءه الخير من دولته ولقب نفسه وهو على المنبر حيث قال « استعدوا فأنا السفاح المبيح والثائر المنيح » وهذا لقب مستبشع وكان الاجدر به أن يكون رائد الخير للامة الاسلامية والمغضى عما كان من هفوات خصومه ويقتدى برسول الله صلى الله عليه وسلم الذى قال لاهل مكة يوم الفتح « ما تظنون أنى فاعل بكم . قالوا خيراً أخ كريم وابن أخ كريم . قال اذهبوا فأنتم الطلقاء » عفا عنهم جميعاً وقد آذوه وأخرجوه من داره . فكان الاجدر بوارث خلافته أن يكون به مؤتسيا فيعفو عند القدرة . لكنه لم يفعل . فانه بعد هزيمة مروان بن محمد آخر الامويين وقتله شرّد بنى أمية وأوقع بمن ظفر به منهم حتى تنازل عن مقامه السامى فغدر بمن أمنه منهم وقتله حينما دخل

عليه مولى له اسمه سديف وأنشده

لا يغرنك ما ترى من أناس
ان تحت الضلوع داء دويا

فضع السيف وارفع السوط حتى
لا ترى فوق ظهرها أمويا

وله فى هذه الشدة المتناهية أخبار لا يستطاع ذكرها ولم ينلهم الأمن الا بواسطة سليمان بن على عم السفاح . فانه دخل عليه أحد بنى أمية الذين شردهم الخوف وضاقت عليهم الارض بما رحبت فقال « لفظتنى البلاد اليك ودلنى فضلك عليك فأما قتلتنى فاسترحت واما رددتنى سالما فأمنت »

قال له فمن أنت . فعرفه بنفسه . فقال سليمان مرحبا بك ما حاجتك . فقال الاموى ان الحرم اللواتى أنت أولى الناس بهن وأقربهم اليهن قد خفن خوفنا ومن خاف خيف عليه . فبكى سليمان وقال يحقن الله دمك ويوفر مالك ويحفظ حرمك . ثم كتب الى السفاح : يا أمير المؤمنين انه قد وفد

وافد من بنى أمية علينا وإنا إنما قتلناهم على عقوقهم لا على أرحامهم فأننا يجمعنا وإياهم عبد مناف والرحم تبل ولا تقتل وترفع ولا توضع فان رأى أمير المؤمنين أن يهبهم لى فليفعل وان فعل فيجعل كتابا عاما الى البلدان فيشكر الله تعالى على نعمته عندنا واحسانه الينا . فأجابه الى ماسأل . وكان هذا أول أمان بنى أمية

وكان زمن أبى العباس مملوءا بالاضطرابات الداخلية لانه فى بدء دولة يريد تأسيسها بالقوة . وقد استعمل أعوانه من القوة أكثر مما يلزم لقمع هذه الفتن . وكان ذلك الاضطراب سببا فى مجئ قسطنطين ملك الروم الى ملطية وهى من ثغور المسلمين ففتحها وأجلى أهلها ثم سار عنها الى قاليقلا ونزل قريبا منها وأرسل قائداً أرمنيا ففتحها وقتل رجالها

توفى السفاح فى منتصف ذى الحجة سنة ١٣٦

٢ أبو جعفر عبد الله المنصور

تولى بعد وفاة أخيه بعهد منه وكان المنصور كما قال

عنه من وصفه من أحسن الناس خلقا مالم يخرج الى الناس وأشد احتمالا لما يكون من عبث أولاده الصغار فأذا لبس ثوبه اربدّ لونه واحمرت عيناه فيخرج منه ما يكون . وكان يقول ما أحوجنى أن يكون على بابى اربعة نفر لا يكون على بابى أعف منهم هم أركان الدولة ولا يصلح الملك الا بهم . أما أحدهم فقاض لا تأخذه فى الله لومة لائم . والآخر صاحب شرطة ينصف الضعيف من القوى . والثالث صاحب خراج يستقضى ولا يظلم . ثم عض على أصبعه السبابة ثلاث مرات يقول فى كل مرة آه آه . قيل وماهو يا أمير المؤمنين قال صاحب بريد يكتب خبر هؤلاء على الصحة

وكان شغله فى صدر النهار بالامر والنهى والولايات والعزل وشحن الثغور والاطراف وأمن السبل والنظر فى الخراج والنفقات ومصلحة معاش الرعية والتلطف بسكونهم وهديهم فاذا صلى العصر جلس لاهل بيته فاذا صلى العشاء جلس ينظر فيما ورد من كتب الثغور والاطراف والآفاق وشاور سماره . فاذا مضى ثلث الليل قام الي فراشه وانصرف

نهاره . واذا مضى الثلث الثانى قام فتوضأ وصلى حتى مطلع الفجر . ثم يخرج فيصلى بالناس . ثم يدخل فيجلس فى ايوانه وهو الذى مكن لبنى العباس الملك وضرب على أيدى من يخالفهم الا أن ذلك كان بشدة زائدة

وفى أول ولايته خالف عليه عبد الله بن على عمه وكان بناحيـة نصيبين يستعد لغزو الصائفة فأرسل اليـه المنصور جيشا يقوده أبو مسلم الخراسانى فالتقى الجيشان بنواحى نصيبين ودام القتال بينهما نحو ستة أشهر وكانت الهزيمـة آخر الامر على عبـد الله بن على فهرب نحو البصرة حتى أمنه المنصور

وبعد رجوع أبى مسلم من هذا النصر المبين مكر به أبو جعفر حتى حضر عنده فقتله غدراً وهو الذى أقام لهم دعامة الملك ومكن لهم فى الارض . وأبو مسلم فى الدولة العباسية شبيه الحجاج بن يوسف الثقفى فى الدولة الاموية كلاهما ظالم غاشم لا يبالى بدم يسفك ما دام فى ذلك رضا الملك وتقوية سلطانه ولكن الله يسلط بعض الظالمين على بعض رأفة بعباده ورحمة

وخرج على المنصور بعد ذلك خوارج كثيرون تغلب عليهم بالقوة ولكن اعظم ما أصابه حين خرج عليه محمد وابراهيم ابنا عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب . ولما علم المنصور بخروجهما أرسل الى المدينة فأحضر جميع من كانوا بها من ولد الحسن بن علي بن أبي طالب فحبسهم وضيق عليهم وقد مات وافى حبوسهم وأصفادهم ولم ينج منهم الا القليل . أما محمد بن عبدالله بن الحسن فأنه خرج بالمدينة بعد ان بايعه أكثر أهلها وأخذ أمير المدينة من قبل المنصور فأرسل اليه المنصور جنداً تحت قيادة ابن أخيه عيسى بن موسى وكان بين الفريقين قتال شديد جداً ولكن انتهى بقتل محمد بن عبد الله الحسني وحمل رأسه الى المنصور

وأما ابرهيم أخوه فخرج بالبصرة وكانا متفقين ان يخرجا معا في وقت واحد ولكن تأخر لجدري اصابه فأرسل المنصور الى عيسى بن موسى فاستقدمه ووجهه الى ابراهيم بالبصرة وكان ابراهيم ساثراً اليه فتقابلا على نحو ١٦ فرسخا من الكوفة وتقاتلا قتالا شديداً انتهى بقتل ابراهيم وأكثر من معه

ولم يزل المنصور يرتق هـذه الفتوق كلما بدرت حتى استقام له الامر بعد عناء شديد

ومن الآثار العظيمة للمنصور بناء مدينة بغداد سيدة الحواضر الاسلامية وعمل لها سورين السور الداخل أعلى من الخارج وبنى قصره فى وسطها والمسجد الجامع بجوار قصره وكان اللبن الذى يبنى به ذراعا فى ذراع ووزن بعضها لما نقض فكان وزن لبنة منه مائة رطل وستة عشر رطلا وكان مقدار النفقة على بنائها وبناء المسجد والقصر والاسواق ٤٠٠٠٠٩٨٣٣ درهما وجعل الطريق فيها اربعين ذراعا وكان ذلك سنة ١٤٦ وفى سنة ١٥١ بنى الرصافة للمهدى وهى فى الجانب الثانى من دجلة

وقد ارتقت بعد ذلك حضارة بغداد حتى صارت أعظم بلدان المسلمين وكثر سكانها حتى زادوا عن المليونين عـداً وتقدمت فيها العلوم والصناعات

وفى عهده غزا صالح بن على العباسى الروم وأصلح ماكان خربه ملك الروم من سور ملطية ثم عمر قاليقلا ورد اليها

أهلها وندب اليها جندا من الجزيرة وغيرها فأقاموا بها وحموها

ولم يكن فى عهد المنصور فتح جديد وانما هو قمع فتن وتمكين ملك

توفى المنصور سنة ١٥٨ بمكة وهو حاج ودفن هناك

٣ ـ محمد المهدى ١٥٨ ـ ١٦٩

تولى بعد وفاة أبيه بعهد منه وقد جاءته والدنيا هادئة مطمئنة وقد سكّن أبوه عجاجتها فكان فى قلبه رأفة ورحمة على رعيته . ولما زار مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وجد بحيطانه اسم الوليد بن عبد الملك الاموى لانه هو الذى جدده ووسعه فأمر أن يمحى ويكتب اسمه موضعه وهذا من الاختلاس الذى شغف به الملوك والامراء فأن كل واحد منهم يود لو نسب كل عمل صالح ممن تقدمه له . وهذا بدون ريب مفسد للتاريخ وفيه تبعة عظيمة . وللمهدى اصلاحات داخلية عظيمة فقد أجرى الارزاق على المجذومين وأهل السجون فى جميع الآفاق . وخرج المهدى بنفسه غازيا الروم

ومعه ابنه الرشيد فسار حتى جاز الدروب وبلغ جيحان ثم سير منه ابنه الرشيد فنزل هو وجنده على حصن سمالو وحصره حتى فتح بالامان ثم فتح فتوحا كثيرة وقفل سالما . ثم سيره مرة أخرى فسار حتى بلغ خليج القسطنطينية ولكنه رجع عنها لان ملكها صالحه ورضى بدفع الجزية

توفى المهدى بماسبذان سنة ١٩٦

٤ - موسى الهادى ١٦٩ - ١٧٠

ولى بعد وفاة أبيه بعهد منه ولم تطل مدته حتى يظهر له كبير عمل . وكان قد أراد خلع أخيه الرشيد لان أباه كان قد ولاهما عهده الهادى فالرشيد . ولكن ذلك لم يتم للهادى لان المنية عاجلته سنة ١٧٠ فلم يقم الا سنة واحدة وثلاثة أشهر

الدرس السابع والعشرون

٥ - هارون الرشيد ١٧٠ - ١٩٣

ولى بعد وفاة أخيه بعهد أبيه . ولما تولى استوزر يحيى بن

خالد البرمكى وقال له قد قلدتك أمر الرعية فاحكم فيها بما ترى واعزل من رأيت واستعمل من رأيت ودفع اليه خاتمه

ويحيى هذا هو والد جعفر والفضل البرمكيين غرقى ملك الرشيد

وكان عصر الرشيد العصر الذهبي لبنى العباس فقد تناهت فيه ثروتهم وهيبتهم كما اتسعت فيه معارف الامة وآدابها

وكان يلى الروم فى عهده الملكة إيرنى وكانت على صلح معه وتدفع مقابل ذلك الجزية . فلما ماتت ولى الروم نقفور فكتب الى الرشيد

« من نقفور ملك الروم الى هارون ملك العرب . أما بعد فان الملكة التى كانت قبلى اقامتك مقام الرخ وأقامت نفسها مكان البيدق فحملت اليك من أموالها ما كنت حقيقا بحمل أضعافه اليها . ولكن ذلك لضعف النساء وحكمهن . فاذا قرأت كتابى هذا فاردد ما حصل لك من أموالها وافتد نفسك وإلا فالسيف بيننا وبينك »

فلما قرأ الرشيد الكتاب استفزه الغضب حتى لم يقدر

أحد أن ينظر اليه فدعا بدواة وكتب على ظهر الكتاب

« بسم الرحمن الرحيم من هرون أمير المؤمنين الى نقفور زعيم الروم . قد قرأت كتابك والجواب ما تراه دون ما تسمعه »

ثم سار من يومه حتى بلغ هرقلة ففتحها . ولما جلس خلال الديار سأله نقفور الصلح على خراج يحمله كل سنة فاجابه الى ذلك . ولما رجع الرشيد ووصل الى الرقة نقض نقفور العهد . وكان البرد شديداً فأمن رجعة الرشيد . ولما جاء الخبر لم يقدر أحد أن يخبر به الرشيد حتى احتالوا عليه بأحد الشعراء فمثل بين يديه وقال

نقض الذي أعطيته نقفور فعليه دائرة البوار تدور
أبشر أمير المؤمنين فانه فتح أتاك به الاله كبير
فتح يزيد على الفتوح يؤمنا بالنصر فيه لواؤك المنصور

فلما سمع الرشيد ذلك قال أوقد فعل ذلك نقفور . فرجع الى بلاد الروم في أشد زمان وأعظم كلفة حتى بلغ بلادهم فأقام بها حتى شفى واشتفى وبلغ ما أراد

ومما يؤخذ على الرشيد ايقاعه بالبرامكة وقتله لجعفر بن يحيى وحبسه لاخيه الفضل وأبيه يحيى وكانوا غرة ملكه . فقد كان لهم جود سارت به الامثال وكان لهم فصاحة وأدب ومروءة لم يعطها الله غيرهم من أهل زمنهم ولكن كان لهم منافسون يزدادون لهم حقداً كلما ازدادوا رفعة فأوغروا صدر الرشيد عليهم حتى فعل بهم ما فعل وصادر أملاكهم وأخذ كل شيء لهم وذهبوا كأنهم لم يكونوا . ولأبي نواس بعد نكبتهم

الان استرحنا واستراحت ركابنا
وأمسك من يجدى ومن كان يجتدي
فقل للعطايا قد أمنت من السرى
وطى الفيافى فدفداً بعد فدفد
وقل للمنايا قد ظفرت بجعفر
ولن تظفرى من بعده بمسود
وقل للعطايا بعد فضل تفضلى
وقل للرزايا كل يوم تجددى

ودونك سيفا برمكيا مهندا
أصيب بسيف هاشمي مهند

ولم ير خليفة قط كان أعطى للمال من الرشيد . وكان لا يضيع عنده احسان محسن . وكان يميل الى أهل الأدب والفقه ويكره المراء فى الدين

توفى الرشيد فى أوائل جمادى الاولى سنة ١٩٣ بطوس

محمد الامين ١٩٣ ـ ١٩٨

ولى بعد أبيه . وكان أبوه قد ولى عهده ولديه الامين ثم المأمون . وكان المأمون أمير خراسان حسب شريطة أبيه وقد أراد الامين لسوء رأيه وعدم النصحاء من وزرائه أن يخلع المأمون ويولى موسى ابنه العهد وقد استشار كثيراً من القواد فوافقوه على رأيه إلا خزيمة بن خازم فانه قال له يا أمير المؤمنين لم ينصحك من كذبك ولم يغشك من صدقك لا تجرئ القواد على الخلع فيخلعوك ولا تحملهم على نكث العهد فينكثوا عهدك وبيعتك فان الغادر مخذول والناكث مغلول . ولكن لم يسمع له .

ولما علم المأمون ذلك لم يرضه بالطبع . وحينئذ أرسل الامين لحرب أخيه جندا يقوده علي بن عيسى بن ماهان وأرسل المأمون جندا آخر يقوده طاهر بن الحسين فالتقى الجيشان خارج الرى وكان النصر لطاهر فكتب الى المأمون « بسم الله الرحمن الرحيم كتابى الى أمير المؤمنين ورأس علي بن عيسى فى يدى وخاتمه فى أصبعى وجنده مصرفون تحت أمرى والسلام » وبعد ذلك خوطب المأمون بالخلافة ونودى بخلع الامين ودخل فى بيعته عاملا مكة والمدينة فأمر المأمون طاهرا أن يسير الى بغداد فسار اليها وحاصرها حتى استولى عليها وقتل الأمين . وكان ذلك سنة ١٩٨ وهو أول خليفة مقتول من بنى العباس

٧ ـ عبد الله المأمون ١٩٨ـ٢١٨

بعد أن قتل الامين صفت البلاد للمأمون وبويع بالخلافة بيعة عامة وهو لا يزال مقيما بخرسان . وفى سنة ٢٠٤ سار الى بغداد وقد ثار بها ابراهيم بن المهدى عمه مريداً أخذ

الخلافة لنفسه فعوجل وأسر ولكن المأمون عفا عنه . وبمجئ المأمون الى بغداد انقطعت الفتن وهدأت الناس

وكان المأمون أحسن بنى العباس خلقا وأكثرهم علما يميل الى العلماء والادباء ويشجعهم بالعطايا الوافرة فراجت فى زمنه سوق العلم رواجا لم يكن له مثيل وترجمت كتب العلم المختلفة من اليونانية . وغيرها وهو أول من قاس الدرجة الارضية بنواحى العراق

وكانت مالية الدولة فى زمنه أعظم منها فى أى زمن آخر لان البلاد كانت مستقيمة والرعية هادئة مطمئنة فالتفتت الى ما بيدها من زراعة الارض واتقان الصناعة فاستفادوا وأفادوا . وكان من خلقه العفو عمن أساء والاحسان لمن أحسن فأحبته رعيته وانصرفت اليه بقلوبها فقوى بها وأقوى الأمراء دولة من كانت قلوب رعيته معه ولا تكون معه الا بالاحسان اليها والعدل فيها والابتعاد عما يخالف أخلاق الملوك من الشح والشره والنفاق وايقاع النفرة بين الافراد . وهكذا كان المأمون رحمه الله

وفى عهده سنة ٢١٢ جهز زيادة الله بن الاغلب أمير

أفريقية جندا عظيما لفتح صقلية فسار اليها وفتح أكثر مدنها وفتحوا بَارم سنة ٢١٦

وفى سنة ٢١٥ سار المأمون بنفسه غازيا الى بلاد الروم فمر على منبج ودابق وانطاكية والمصيصة وطرسوس ودخل منها الى بلاد الروم ودخل ابنه العباس من ملطية فأقام المأمون على حصن قرة فافتتحه عنوة وفتح جنده حصونا أخرى

توفى المأمون سنة ٢١٨ فى أواخر رجب

٨ - محمد المعتصم ٢١٨ - ٢٢٧

تولى بعد أخيه بعهد منه وفى ولايته استكثر من الاتراك الموالى وجعل منهم جنداً عظيما وبنى لاجلهم مدينة سامرا وجعلها مصيفا له وابتدأ عمارتها سنة ٢٢١

وفى عهده خرج ملك الروم توفيل بن ميخائيل الى بلاد الاسلام بجند عظيم حتى بلغ زبطرة فقتل من بها من الرجال وسبى الذرية والنساء وأغار بعد ذلك على أهل ملطية ومثل بمن صار فى يده من الاسرى وسمل أعينهم وقطع

انوفهم وآذانهم فبلغ ذلك المعتصم وبلغه أن احدى الاسيرات نادت وهي سائرة « وامعتصماه » فقال « لبيكِ لبيكِ » وهو على سريره ونهض من ساعته وصاح في قصره « النفير النفير » وسأل أي بلاد الروم أمنع فقيل له عمورية لم يعرض لها أحد منذ كان الاسلام وهي عين النصرانية وأشرف عندهم من القسطنطينية فسار المعتصم من سامرا وتجهز جهازاً لم يتجهزه خليفة قط قبله وسار ذلك الجيش العظيم حتى بلغ عمورية وهي على سبعة مراحل من انقرة شمالاً وهناك حصل قتال شديد جداً بين الروم الذين في البلد وبين عسكر المعتصم وانتهى الامر بفتح ذلك البلد العظيم

وكان المعتصم حربيا أكثر منه اداريا ولم يكن له لذة في تزيين البناء ولم يكن بالنفقة اسمح منه بها في الحرب

ومما يورد عبرة في استصناع الناس ان المعتصم قال لاسحاق بن ابراهيم المصعبي نظرت الى أخي المأمون وقد اصطنع أربعة فأفلحوا واصطنعت أربعة فلم يفلح واحد منهم. اصطنع المأمون طاهر بن الحسين فقد رأيت وسمعت وابنه

عبد الله بن طاهر فهو الرجل الذى لم ير مثله وأنت فانت والله الرجل الذى لا يتعاصى السلطان عنك أبداً وأخوك محمد ابن ابراهيم واين مثل محمد. وأنا اصطنعت الافشين فقد رأيت الى ما صار أمره (وكان قد ظهرت عليه خيانة) وأشناس ففشل وايتاخ فلا شيء ووصيف فلا معنى له (وكل هؤلاء من الموالى الاتراك). فقال اسحق اجيب على أمان من غضبك. قال نعم. قال يا أمير المؤمنين نظر أخوك الى الاصول فاستعملها فأنجبت واستعمل أمير المؤمنين فروعا فلم تنجب إذلا أصول لها. فقال المعتصم يااسحق لقاساة ما مربي طول هذه المدة أيسر على من هذا الجواب

وقد ترك المعتصم لمن بعده العناء والشقاء بهؤلاء الموالى الذين لا يعرف لهم أصل فى الامة وسيمر بك شيء من فعالتهم

توفى المعتصم فى ربيع الاول سنة ٢٢٧

الدرس الثامن والعشرون

٩ - هارون الواثق ٢٢٧ - ٢٣٢

ولي بعد أبيه بعهد منه فاحسن الى الناس واشتمل على العلويين وبالغ في اكرامهم والاحسان اليهم والنعهد لهم بالاموال وفرق في أهل الحرمين أموالا جزيلة حتى انه لم يوجد في أيامه بالحرمين سائل واطلق في خلافته أعشار سفن البحر وكانت مالا عظيما وفي عهده سنة ٢٢٨ فتحت مدينة مسينه . فتحها الفضل بن جعفر الهمداني واستأمن اليه أهل نابل وصاروا معه. توفي الواثق في ذي الحجة سنة ٢٣٢

١٠ - جعفر المتوكل ٢٣٢ - ٢٤٧

بويع بعد وفاة أخيه الواثق. ولاه كبار الدولة اذ لم يكن لاخيه عهد . وفي أول ولايته نكب وزير أخيه الواثق محمد بن عبد الملك الزيات واستصفى أمواله وأملاكه بجميع البلاد ثم عذبه تعذيبا شديداً حتى مات . وكان ابن الزيات في أيام وزارته ظالما غاشما فسلط عليه أظلم منه فليعتبر الظالمون

ولم يقتصر الامر على هذا بل صادر المتوكل كثيراً من عمال أبيه وأذاقهم نكالا . وكان المتوكل يبغض العلويين بغضا شديداً على الضد مما كان يفعل المأمون وكان كل ندماء المتوكل وسماره على رأيه . وفي عهده فتح قبرياثة وهو حاضرة صقلية بعد سرقوسة

وفي سنة ٢٤٥ بنى المتوكل مدينته التي سماها الجعفرية والمتوكلية وأنفق على بنائها أكثر من ألفي الف دينار وحفر لها نهراً لسقي ما حولها

وفي آخر أيامه حصلت بينه وبين ابنه وولي عهده محمد المنتصر وحشة فاتفق المنتصر مع كبار الاتراك أن يفتكوا بالمتوكل وقد نفذوا هذا الرأي لاربع خلون من شوال سنة ٢٤٧ وهو ثاني من قتل من بني العباس

١١ ـ محمد المنتصر

(٢٤٧ ـ ٢٤٨)

تولى بعد قتل أبيه ولم يتمتعه الله بملكه جزاء قتله لابيه

فلم يمكث فيه الا سنة واحدة . وقاتل الله هذا الملك العقيم الذى يفرق بين الولد وأبيه بل قاتل الله مطامع الدنيا فانها كثيراً ما تطغى الانسان وتعميه عما هو خير له فى دينه ودنياه

﴿ ١٢ ـ احمد المستعين بن محمد بن المعتصم ﴾

(٢٤٨ ـ ٢٥٢)

ولاه موالى الاتراك الذين صار بيدهم زمام الجيش وهم مصدر القوة . ومن ذلك الحين الى انتهاء الدولة صار بيدهم زمامها يولون من شاؤا ويعزلون من شاؤا حسب أهوائهم. وهذا من أعظم الفساد الذى جره المعتصم على بنيه بل وعلى الامة من بعده

ماذا ينتظر من قوم أقوياء يدعوهم الهوى فيجيبون وهم فى وسط لا قانون فيه يراعى لتنصيب الخلفاء وتدافع الامة عن الاخلال به الهم لا ينتظر منهم الا منتهى الشر وسوء الرأى. والاشد من ذلك أنهم كانوا فيما بينهم مختلفين لاختلاف أهوائهم فكثيراً ما كانت تقع بينهم الشرور والامة هى التى

تبتئس بكل ذلك والخلافة تضعف هيبتها

كان ذلك سببا لتقوى الروم وطغيانهم على بلاد المسلمين من جهة الشمال وابتداء الاستقلال فى الاطراف وسترى كيف تفرقت هذه الدولة

خلع المستعين من الخلافة فى أوائل سنة ٢٥٢ وفى خلعه قال بعض شعرائهم

خلع الخليفة احمد بن محمد ... وسيقتل التالى له أو يخلع

ويزول ملك بنى أبيه ولا نرى ... أحدا بملك منهم يتمتع

ايها بنى العباس ان سبيلكم ... فى قتل اعبدكم سبيل مهيع

رفعتكم دنياكم فتمزقت ... بكم الحياة تمزقا لا يرقع

﴿ ١٣ ـ محمد المعتز ٢٥٢ ـ ٢٥٥ ﴾

خطب له بعد خلع ابن عمه المستعين ولم يلبث أن أمر بقتل المستعين وجاءته رأسه وهو يلعب الشطرنج فقال ضعوه حتى افرغ من الدست . فلما فرغ نظر اليه وأمر بدفنه

وفى عهده ابتدأت الدولة الصفارية بسجستان والدولة الطولونية بمصر

وفى أواخر رجب سنة ٢٥٥ خلع المعتز ، خلعه الاتراك وسلموه الى من يعذبه فمنعه الطعام والشراب حتى مات

﴿ ١٤ ﴾ - محمد المهتدى بن الواثق

(٢٥٥ - ٢٥٦)

ولى بعد ابن عمه المعتز وفى عهده خرج بالبصرة صاحب الزنج المدعو على بن محمد وهو الذى عاث فى الارض فساداً وقاسى العباسيون فى اخضاعه الامرّين . وكان أمر الناس فى حياة المهتدى مضطربا ولا أمن للناس على أموالهم ولا على أنفسهم . وفى منتصف رجب سنة ٢٥٦ خلع المهتدى وقتل كما هى العادة مع أن صفاته الشخصية كانت حسنة ولكن ذوى الاهواء قلما يرضيهم انسان

﴿ ١٥ ﴾ - احمد المعتمد بن المتوكل

(٢٥٦ - ٢٧٩)

ولى بعد ابن عمه المهتدى - وفى أيامه استفحل أمر الزنج

بالبصرة وفارس واستولى يعقوب بن الليث الصفار على نيسابور وطبرستان

وفى عهده ابتدأت الدولة السامانية بماوراء النهر . وأولها نصر بن احمد بن أسد بن سامان من أصل تركى

وفى سنة ٢٧٠ انتهى أمر الزنج بقتل كبيرهم بعد حروب شديدة كانت بينهم وبين القائمين بأمر الدولة

وفى عهد المعتمد ظهرت القرامطة بسواد الكوفة وهم قوم ملحدون فى الدين ورئيسهم رجل لقبه قرمط واسمه حمدون وكانت مصيبة المسلمين منهم شديدة فانهم كانوا يستحلون دم من خالفهم وماله وطالما هاجموا الحاج وهم سائرون الى بيت الله وحرمه فيقتلونهم ويأخذون أموالهم

توفى المعتمد سنة ٢٧٩

١٦ ـ احمد المعتضد بن طلحة بن المتوكل

(٢٧٩ ـ ٢٨٩)

بويع بعد وفاة عمه المعتمد بعهد منه وكان شهما شجاعا مقداما ذا عزم عفيفا وكان مهيبا عند أصحابه يخشون سطوته

وفى عهده اشتد أمر القرامطة وعظمت اضرارهم بالشام والعراق والبحرين . توفى سنة ٢٨٩

١٧ - على المكتفى بن المعتضد

(٢٨٩ - ٢٩٥)

بويع بعد وفاة أبيه بعهد منه وفى عهده انقضى أمر الدولة الطولونية بمصر وعادت ولاية عباسية كما كانت . وفى عهده ظهر بنو حمدان بالموصل وهم قوم من عرب تغلب وكان رئيسهم أبو الهيجاء عبدالله بن حمدان ولاه المكتفى الموصل وكان لبنى حمدان وقائع مشهورة فى الحرب مع الصليبيين الذين كانوا يودون الاستيلاء على بلاد المسلمين المقدسة وهم الذين كان يمدحهم المتنبى الشاعر المشهور

توفى المكتفى فى ذى القعدة سنة ٢٩٥

١٨ جعفر المقتدر بن المعتضد

(٢٩٥ - ٣٢٠)

بويع بعد وفاة أخيه المكتفى ولاه وزراء الدولة من غير عهد ولكن المكتفى كان أشار به وهو شديد المرض . وفى عهده

ابتدأت الدولة العلوية الأنربقية وهى الدولة الفاطمية التى ملكت مصر

وقد طالت مدة المقتدر فى الخلافة فانه قتل سنة ٣٢٠ حيث استوحش منه الاتراك فقتلوه

﴿ ١٩ ـ محمد القاهر بن المعتضد ﴾

(٣٢٠ ـ ٣٢٢)

بايعه كبار الدولة بعد قتل أخيه المقتدر وفى عهده ابتدأت دولة بنى بويه ببلاد الفرس. ولم يمكث القاهر فى الخلافة الا سنتين فانه خلع فى جمادى الاولى سنة ٣٢٢

﴿ ٢٠ ـ احمد الراضى بن المقتدر ٣٢٢ ـ ٣٢٩ ﴾

ولى بعد عمه القاهر. ولاه كبار الدولة. وفى عهده اتسع ملك بنى بويه وصاروا يفتتحون البلاد حتى قاربوا بغداد. توفى الراضى فى ربيع الاول سنة ٣٢٩

﴿ ٢١ ـ ابراهيم المتقى ٣٢٩ ـ ٣٣٣ ﴾

بويع بعد وفاة أخيه الراضى وعهده مملوء بالاضطرابات والفتن والحروب بين رؤساء الدولة كل يود أن تكون له

السلطة والدولة تنتقص أطرافها شيئا فشيئا وهم لا يدفعون عن أنفسهم ولا عن الخلافة . وفى سنة ٣٣٣ خلع المتقى . ومن أقبح ما فعل معه سمل عينيه . فيا بؤس خلافة وصلت حالها الى مثل هذا الحد

﴿ ٢٢ — عبد الله المستكفى بن المكتفى ﴾

(٣٣٣ — ٣٣٤)

بويع بعد خلع ابن عمه المتقى وفى عهده استولى معز الدولة ابن بويه على بغداد وبذلك لقبه المستكفى كما لقب أخويه عماد الدولة وركن الدولة وأمر أن تضرب ألقابهم وكناهم على الدنانير ولم يعد بعد ذلك للخليفة الا الاسم ولم يمض على ذلك كبير وقت حتى خلع معز الدولة المستكفى من الخلافة سنة ٣٣٤

﴿ ٢٣ — الفضل المطيع بن المقتدر ﴾

(٣٣٤ - ٣٦٣)

بويع بعد خلع ابن عمه . وفى أيامه ازداد أمر الخلافة ادباراً بحيث لم يكن للخليفة وزير بل كان له كاتب يدبر اقطاعاته

واخراجاته لا غير وصارت الوزارة لمعز الدولة يستوزر لنفسه من يريد فكان بنو بويه يعتقدون أن الأحق بالخلافة العلويون فلم يكن هناك باعث ديني يبعثهم على الطاعة والانقياد لبني العباس . وفي أيامه ابتدأ الخراب في قرى العراق ومزارعها لان معز الدولة اقطع الاجناد كثيراً منها فلم يلتفتوا لعمارتها

وفي عهده ملك الروم مدينتي طرسوس والمصيصة سنة ٣٥٤ - وفي عهده ملك المعز العلوي مصر سنة ٣٥٨ وفي هذه السنة خرج ملك الروم الى بلاد الشام فلم يمنعه أحد فسار الى طرابلس وأحرقها وسبى من فيها ثم فعل مثل ذلك بحمص ثم رجع الى بلاد الساحل فأتى عليها نهبا وتحريقا وملك ثمانية عشر منبرا فأما القرى فكثير . وأقام بالشام شهرين يقصد أي موضع شاء فلا يمنعه أحد . وفي سنة ٣٥٩ ملك الروم مدينة انطاكية ثم أنفذوا جيشا الى حلب فملكها ولكن أميرها صالحهم بعد على أن يخرجوا منها على مال يؤديه . وفي سنة ٣٦١ أغاروا على بلاد الجزيرة حتى بلغوا نصيبين ولما رأى ذلك أهل الجزيرة ذهب وفد منهم الى بغداد مستغيثين فذعر الناس من

أخبارهم وقصدوا دار الخليفة وقالوا كيف يقاتل المسلمون بعضهم بعضا ويدعون الروم يفعلون بالبلاد ما شاؤا فوعدوا بان الجيوش ستجرد لذلك وكتبوا الى ابن حمدان يأمرونه بالتجهز فأمد جنده وكانت بينه وبين الروم وقعة في ميافارقين غُلب فيها الروم . وفي سنة ٣٨٣ خلع المطيع

الدرس التاسع والعشرون

(٢٤ ـ عبد الكريم الطائع ٣٦٣ ـ ٣٨١)

ولي بعد وفاة أبيه المطيع وفي عهده ابتدأت دولة آل سبكتكين بغزنة وأعمالها ورأسها سبكتكين . وهذه الدولة كان لها أعظم أثر في فتح الهند ودخول الاسلام فيه . خلع الطائع سنة ٣٨١

(٢٥ ـ احمد القادر بن اسحق بن المقتدر)

(٣٨٧ ـ ٤٢٢)

بويع بعد خلع ابن عمه . وفي عهده امتدت الدولة السبكتكينية الى خراسان وملكتها . وفي عهده سنة ٣٨٩

انقرضت الدولة السامانية ببخارى وصارت الى الترك . وفى عهد خلافة القادر عاد الى الخلافة شيء من ابهتها . وكان حليما كريما يحب الخير ويأمر به وينهى عن الشر ويبغض اهله . توفى سنة ٤٢٢

٢٦ - عبد الله القائم ٤٢٢ - ٤٦٧

بويع بعد وفاة أبيه القادر . وفى عهده ساءت الحال جدا وفقد الامن ولم يعد لأحد القدرة على معاقبة العيارين والسلابين لان بنى بويه ضعف أمرهم جداً . وفى مدة القائم ابتدأت دولة آل سلجوق وأول من اشتهر منهم طغرلبك محمد بن ميكائيل بن سلجوق . وفى سنة ٤٤٧ ملكوا بغداد وسقطت دولة بنى بويه وانتهت كأن لم تكن . ومما عد من غرائب التاريخ ان طغرلبك صاهر الخليفة فتزوج ابنته وهذا أمر لم يجرأ أحد ممن سبقه من الملوك على طلبه مع ما كانوا عليه من القوة . وفى عهده كانت موقعة عظيمة بين السلطان ألب ارسلان السلجوقى وبين ملك الروم بناحية خلاط وكان

هذا خرج بجموع عظيمة فقابله ألب ارسلان بجنده المخلص القليل فأوقعوا بالروم أيما ايقاع حتى هزموهم وأسروا ملكهم وقد افتدى نفسه بالف الف وخمسمائة الف دينار وان يطلق كل أسير فى بلاد الروم وهادنه السلطان خمسين سنة وسيره الى بلاده وسير معه عسكرا أوصلوه الى مأمنه وشيعه السلطان فرسخا

وفى سنة ٤٦٧ توفى القائم بأمر الله

(٢٧ - عبد الله المقتدى بن محمد بن القائم)

(٤٦٧ - ٤٨٧)

بويع بعد وفاة جده القائم ولم يكن للقائم ولد ذكر من صلبه سواه. وفى عهده استردت انطاكية من الروم. استردها سليمان بن قتلمش صاحب قونية وكانت بيد الروم من سنة ٣٥٨ وفى سنة ٤٨٤ استولى الافرنج على جزيرة صقلية من ايدى المسلمين

وفى أوائل سنة ٤٨٧ توفى المقتدى

﴿ ٢٨ ـ أحمد المستظهر ٤٨٧ ـ ٥١٢ ﴾

بويع بعد وفاة أبيه وفى أيامه ابتدأت دولة محمد بن أنوشتكين الملقب بخوارزمشاه وأول أمره بخوارزم. وفى عهده ابتدأ اشتداد الحروب الصليبية وخروج الافرنج الى بلاد المسلمين فملكوا أنطاكية ثم ملكوا معرة النعمان. وفى سنة ٤٩٢ ملكوا بيت المقدس وفى كل بلد يفتحها الصليبيون يسومون المسلمين سوء العذاب فيقتلون ويسبون ولا يراعون عهدا ولا ذمة كل ذلك وأمراء المسلمين لاهون بانفسهم والخصومة بينهم فى كل يوم تزيد

وكان يناوئهم أهل مصر حينا بعد حين فأحيانا ينالون منهم بعض الشىء وأحيانا ينهزمون. وفى سنة ٤٩٧ ملك الفرنج جبيل وعكا من بلاد الشام ثم ملكوا حصن أفامية. وفى سنة ٥٠٣ ملكوا طرابلس وبيروت ثم جبيل وبانياس ثم صيدا. وفى سنة ٥٥٠ جرد السلطان الجنود لحربهم فكانت سجالا

وفى سنة ٥١٢ توفى المستظهر بالله

﴿ ٢٩ ـ الفضل المسترشد ٥١٢ ـ ٥٢٩ ﴾

بويع بعد وفاة أبيه بعهد منه وفى مدته ملك الفرنج مدينة صور والمسلمون فيما بينهم يتنازعون يحارب بعضهم بعضا كل يود أن يغلب الآخر على مابيده . وفى سنة ٥٢٩ قتل الخليفة المسترشد . قتله السلطان مسعود السلجوقى أثر حرب كانت بينهما

﴿ ٣٠ ـ المنصور الراشد ٥٢٩ ـ ٥٣٠ ﴾

بويع بعد وفاة أبيه ولم تطل مدته فانه خلع سنة ٥٣٠

﴿ ٣١ ـ محمد المقتفى ٥٣٠ — ٥٥٥ ﴾

بويع بعد خلع ابن أخيه الراشد وفى عهده عظم أمر اتابك زنكى والد محمود نور الدين صاحب الاثر المحمود فى حروب الصليبيين وكان بالموصل وما جاورها . وهو استاذ صلاح الدين يوسف بن أيوب . وقد امتدت مملكة نور الدين الى أغلب مدن الجزيرة والشام . ويبتدئ ملك محمود نور الدين من سنة ٥٤٦ بعد قتل والده . وقد استرد من الافرنج كثيراً

من البلدان التى أخذوها من المسلمين . وفى عهد المقتفى انقرضت دولة آل سبكتكين. توفى المقتفى سنة ٥٥٥

٣٢ يوسف المستنجد بن المقتفى ٥٥٥ — ٥٦٦

بويع بعد وفاة والده وفى عهده انقرضت دولة الفاطميين بمصر وملكها أسد الدين شيركوه نائبا عن محمود نور الدين. ولما مات أسد الدين خلفه بها صلاح الدين يوسف بن أيوب رأس الدولة الايوبية . توفى المستنجد سنة ٥٦٦

٣٣ ـ الحسن المستضىء ٥٦٦ ـ ٥٧٥

بويع بعد وفاة والده وفى عهده توفى نور الدين وخلفه فى جهاده وحسن أثره صلاح الدين يوسف وهو الذى استرد من الافرنج بيت المقدس وكثيراً مما بأيديهم من المدن الاسلامية كما يجىء

توفى المستضىء سنة ٥٧٥

٣٤ ـ أحمد الناصر ٥٧٥ ـ ٦٢٢

بويع بعد وفاة والده . وفى عهده اتسعت جداً سلطة

صلاح الدين وعظم أمره وفتح بيت المقدس سنة ٥٨٣ . ويظهر الفرق بين ملك المسلمين وملك الافرنج بما كان يفعله صلاح الدين مع من يفتح بلادهم من الوفاء بالعهد وكرم الاخلاق والعفو على عكس ما كان يفعله الافرنج اذا غلبوا . وقد توفى صلاح الدين فى عهد الناصر سنة ٥٨٩ وفى مدته ابتدأ خروج التتار من بلادهم مغيرين على بلاد الاسلام

توفى الناصر سنة ٦٢٢ وهو أطول ملوك بنى العباس خلافة بل أطول ملوك المسلمين قاطبة الا ما كان من المستنصر بالله العلوى فأنه ولى ستين سنة ولكنه تولى وسنه سبع سنين . وكان الناصر قبيح السيرة فى رعيته ظالما فخرب فى أيامه العراق وتفرق أهله فى البلاد وأخذ أملاكهم وأموالهم . ويقال انه هو الذى أطمع التتار فى بلاد المسلمين وراسلهم فى ذلك وتلك هى الطامة الكبرى التى يصغر أمامها كل ذنب عظيم

٣٥ - محمد الظاهر ٦٢٢ - ٦٢٣

بويع بعد وفاة أبيه ولم يطل أمره فانه توفى سنة ٦٢٣

الدرس الثلاثون

٣٦ المنصور المستنصر بالله ٦٢٣ - ٦٤٠

بويع بعد وفاة والده وفى عهده تسلم الافرنج ثانية بيت المقدس صلحا سنة ٦٢٦ لما كان من الخلاف والشقاق بين اسرة صلاح الدين الايوبى

وكان المستنصر حسن السيرة فى الرعية عادلا وهو الذى بنى المدرسة المستنصرية على شط دجلة من الجانب الشرقى مما يلى دار الخلافة وجعل لها أوقافا جليلة على أنواع البر

---

٣٧ - المستعصم بن المستنصر ٦٤٠ - ٦٥٦

بويع بعد وفاة أبيه المستنصر وهو الذى كان على يده انتهاء الدولة العباسية فقد كان وزيره ابن العلقمى وهو